

المكتبة الخضراء للأطفال

DVDARAB

عروس البحر

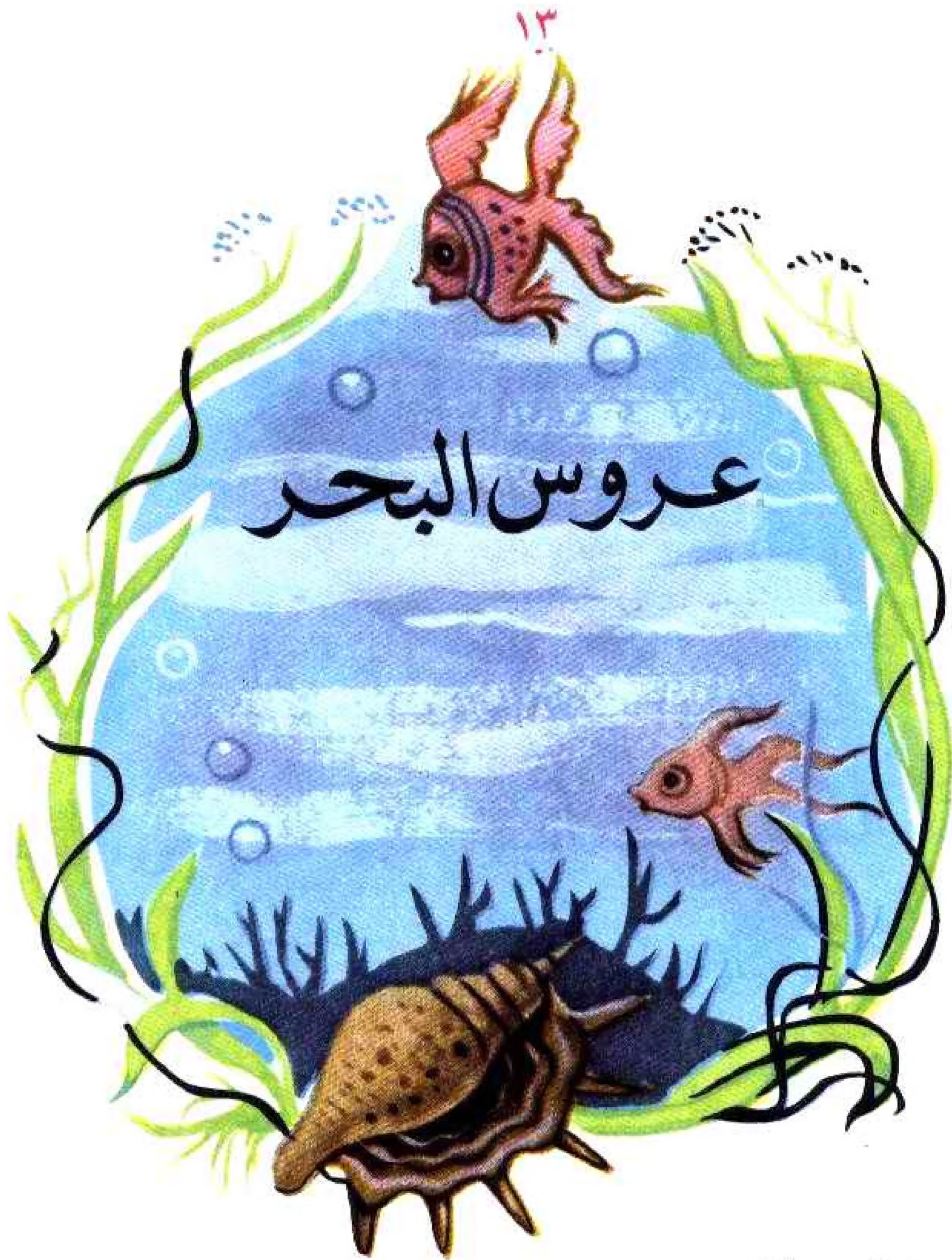


DVDARAB

قصة عادل الغضبان

دار المغارف

المكتبة الخضراء للأطفال



الطبعة السادسة

بقلم: عادل الغضبان



دار المعارف



كَانَ الْمَاءُ فِي بَحْرِ مِنْ الْبَحَارِ الْبَعِيدَةِ ، أَزْرَقَ صَافِيًا ،
يُحَاكِي زُرْقَةَ السَّمَاءِ وَصَفَاءَ الْبِلَوْرِ ، وَكَانَ عُمُقُ ذَلِكَ الْبَحْرِ
آلَافَ آلَافِ الْأَمْتَارِ ، فَمَا مِنْ سَفِينَةٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرُسُوَ عَلَى
سَطْحِهِ ، وَلَا مِنْ مَرَسَاةٍ مَهْمَا طَالَتْ حِبَالُهَا يُمَكِّنُ أَنْ
تَبْلُغَ قَرَارَهُ .

وَكَانَتْ شُعُوبُ الْمَاءِ تَعِيشُ فِي أَعْمَاقِ هَذَا الْبَحْرِ بَيْنَ
غَرِيبِ النَّبَاتِ وَجَمَاعَاتِ السَّمَكِ .

وَكَانَ فِي أَعْمَقِ مَكَانٍ مِنَ الْبَحْرِ ، قَصْرٌ لِلْمَلِكِ بُنِيَ
حِيطَانُهُ مِنَ الْمَرْجَانِ ، وَصُنِعَتْ نَوَافِذُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْأَصْفَرِ ،
وَشِيدَتْ سُقُوفُهُ مِنَ الصَّدَفِ ، وَفِي جَوْفِ كُلِّ صَدَفَةٍ مِنْهُ
لُؤْلُؤَةٌ جَمِيلَةٌ .

وَكَانَ مَلِكُ الْبَحْرِ قَدْ فَقَدَ زَوْجَتَهُ مِنْذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ ،
فَنَهَضَتْ أُمُّهُ بِتَدْبِيرِ شُؤُونِ الْقَصْرِ وَالْعِنَايَةِ بِنَاتِهِ وَعَدَدُهُنَّ
سِتُّ أَمِيرَاتٍ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ أَجْمَلُ مِنَ الْأُخْرَى ، عَلَى أَنَّ
أَصْغَرَهُنَّ كَانَتْ تَفُوقُهُنَّ جَمِيعًا بِالْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ
الْخَلَائِبِ ، فَمِنْ بَشَرَةٍ نَاعِمَةٍ رَقِيقَةٍ شَفَّافَةٍ كَأُورَاقِ الْوَرْدِ ،
إِلَى عَيْنَيْنِ زَرْقَاوَيْنِ بِلَوْنِ الْفَيْرُوزِ ، إِلَى شَعْرٍ أَشْقَرَ ذَهَبِيٍّ ،
غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَا لِأَخَوَاتِهَا قَدَمَانِ مِثْلُ جَمِيعِ الْبَشَرِ ،
وَإِنَّمَا كَانَ جِسْمُهُنَّ يَنْتَهِي بِذَيْلِ سَمَكَةٍ .

وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَمِيرَةُ عَجِيبَةً الْأَطْوَارِ كَثِيرَةَ التَّفَكِيرِ ،



تُؤَثِّرُ الصَّمْتَ الْعَمِيقَ عَلَى الْكَلَامِ وَالشَّرْثَرَةَ ، وَكَانَتْ
مُتَعَتِّهَا الْكُبْرَى ، أَنَّ تُرْهِفَ السَّمْعَ إِلَى الْأَحَادِيثِ وَالْقِصَصِ
الَّتِي تَرَوِي لَهَا أَخْبَارَ النَّاسِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي عَالَمِ
الْبَشَرِ ، وَلَطَالَمَا طَلَبْتَ إِلَى جَدَّتِهَا أَنَّ تُحَدِّثَهَا عَنِ السُّفُنِ
وَالْمُدُنِ ، وَأَنَّ تَقْصَّ عَلَيْهَا سِيرَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَ .

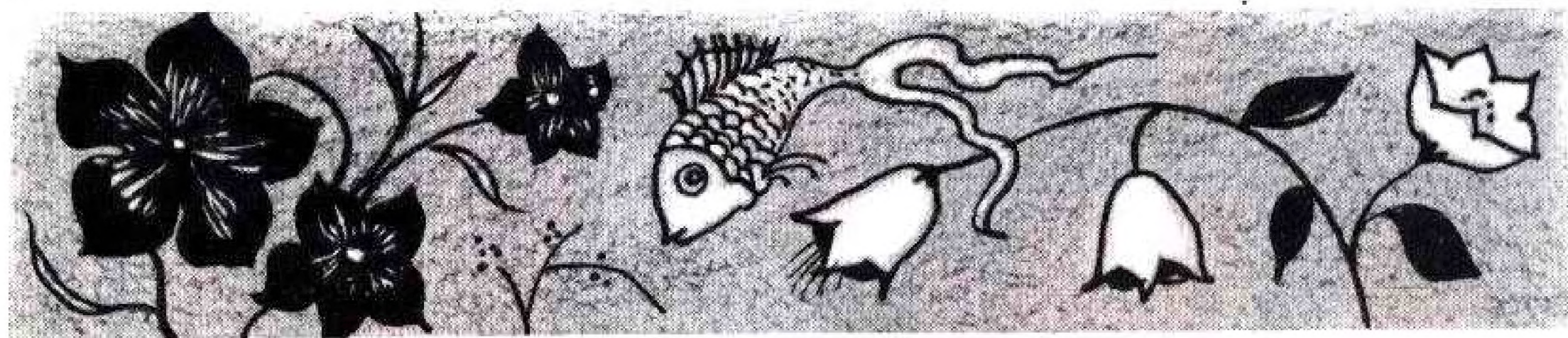
وَكَانَ مِمَّا يُثِيرُ دَهْشَتَهَا ، أَنَّ الْغَابَاتِ خُضِرَ عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ وَأَنَّ الْأَزْهَارَ فِيهَا يَتَضَوَّعُ مِنْهَا عِطْرٌ لَا تَبْشُرُهُ
تَحْتَ الْمَاءِ .

وَمَا كَانَتْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَصَوَّرَ أَنَّ السَّمَكَ يُغْنِي وَيُغَرِّدُ
وَيَتَنَقَّلُ فَوْقَ الْأَغْصَانِ ، وَكَانَتْ جَدَّتُهَا هِيَ الَّتِي أَطْلَقَتْ
اسْمَ السَّمَكَ عَلَى الْعَصَافِيرِ ، حَتَّى يُقَرِّبَهَا مِنْ فَهْمِ الْأَمِيرَةِ
فَكَانَتْ تَقُولُ لَهَا :

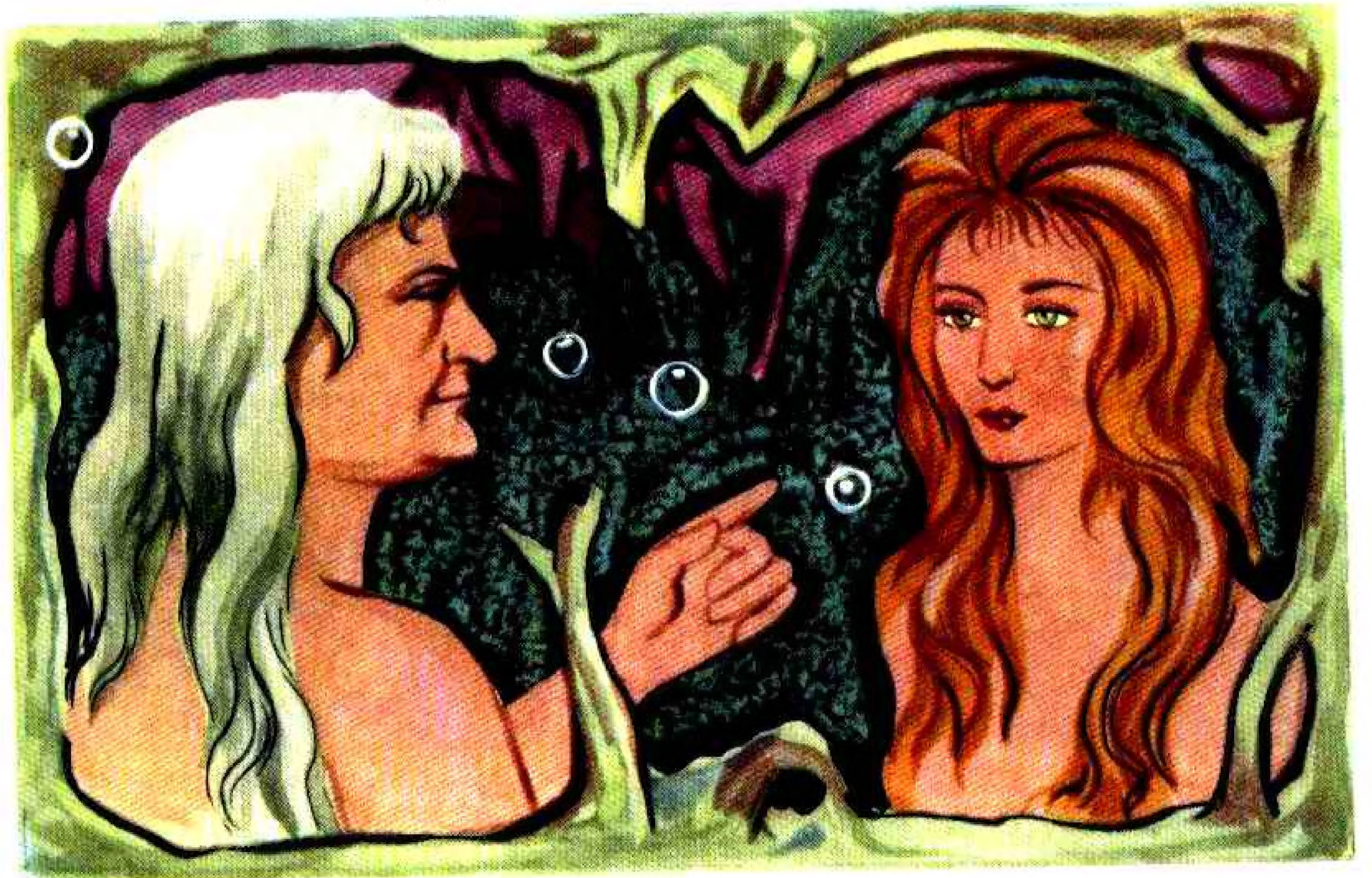
« عِنْدَمَا تَبْلُغِينَ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِكَ ، فَسَوْفَ

أَسْمَحُ لَكَ أَنْ تَصْعَدِي إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ ، وَأَنْ تَجْلِسِي فَوْقَ
الصُّخُورِ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ لِتُشَاهِدِي السُّفْنَ الْكَبِيرَةَ وَهِيَ تَمُخِرُ
عُبابَ الْمَاءِ ، وَلَكِي تَرَى بِعَيْنِكَ الْمُدُنَ وَالْغَابَاتِ وَتَعْرِفِيهَا
عَنْ كَثَبٍ ، فَانْتَظِرِي نَوْبَتَكَ بَعْدَ أَخَوَاتِكَ .

وَكَانَتْ أَكْبَرُ الْأُمِيرَاتِ سَتَبْلُغُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ
عُمُرِهَا بَعْدَ عَامٍ ، وَلَمَّا كَانَ فَرْقُ السِّنِّ بَيْنَ كُلِّ أَمِيرَةٍ وَأُخْتِهَا
سَنَةً وَاحِدَةً ؛ فَكَانَ لَا بُدَّ لِأَصْغَرِ الْأُمِيرَاتِ مِنْ أَنْ تَنْتَظِرَ خَمْسَ
سَنَوَاتٍ أُخْرَى لِتَبْلُغَ ذَلِكَ الْعُمُرَ وَتَقُومَ بِمِثْلِ تِلْكَ الرِّحْلَةِ .
وَتَوَاعَدَتِ الْأُمِيرَاتُ السِّتُّ أَنْ تَحْكِيَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ
لِأَخَوَاتِهَا عِنْدَ عَوْدَتِهَا ، أَخْبَارَ رِحْلَتِهَا ، وَتَصِفَ لِهِنَّ مَا تَكُونُ
قَدْ رَأَتْهُ مِنْ عَجَائِبَ ، فَكُلُّهُنَّ كُنَّ يَتَحَرَّقْنَ شَوْقًا إِلَى الْعِلْمِ



وَالْمَعْرِفَةِ ، وَلَا سِيَّمَا أُخْتَهُنَّ الصُّغْرَى ، فَقَدْ كَانَ يَدْفَعُهَا
 الْفُضُولُ وَالرَّغْبَةُ فِي الْمَعَارِفِ ، إِلَى أَنْ تَجْلِسَ فِي أَكْثَرِ اللَّيَالِي
 قُرْبَ نَافِذَةٍ مَفْتُوحَةٍ فِي غُرْفَتِهَا ، وَتُحَاوِلُ أَنْ تَسْتَشِفَّ مَا وَرَاءَ
 ذَلِكَ الْمَاءِ الْأَزْرَقِ الَّذِي تَضْطَرِبُ فِيهِ الْأَسْمَاكُ . فَكَثِيرًا
 مَا وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَى الْقَمَرِ وَالنُّجُومِ ، وَلَكِنْ فِي شَكْلِ مُشَوِّهِ
 بِسَبَبِ طَبَقَاتِ الْمَاءِ الَّتِي كَانَتْ تَحْجُبُ الْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ عَنْ
 أَنْ تَبْدُوَ لِلْأَمِيرَةِ الصَّغِيرَةِ فِي صَحِيحِ شَكْلِهَا وَبَاهِرِ لَأْلَائِهَا .
 وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَبَلَغَتِ الْعُرُوسُ الْكَبِيرَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ ،





فَهَبَتْ تَقُومُ بِرِحْلَتِهَا إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ ، وَلَمَّا رَجَعَتْ كَانَتْ
جُعِبَتْهَا مَمْلُوءَةً بِالْحَوَادِثِ وَالْأَخْبَارِ ، سَرَدَتْهَا عَلَى أَسْمَاعِ
شَقِيقَاتِهَا وَهُنَّ يَسْتَمِعْنَ لَهَا فِي صَمْتٍ وَسُكُونٍ وَاسْتِغْرَابٍ ،
فَقَالَتْ لِهُنَّ فِيمَا قَالَتْ :

- « مَا أَجْمَلَ الشَّوَاطِئَ مَفْرُوشَةً بِالرِّمَالِ تَتَكَسَّرُ عِنْدَهَا
أَمْوَاجُ الْبَحْرِ ! وَمَا أَرْوَعَ الْمَدِينَةَ الَّتِي تَقُومُ وَرَاءَهَا حِينَ
يَغْمُرُهَا الْقَمَرُ بِضِيَائِهِ ، وَيَكْسُوهَا بِوِشَاحٍ أَيْضًا ! بَلْ مَا أَبْهَى
الْأَنْوَارَ تَسْطَعُ مِنَ الْمَنَازِلِ ، حَتَّى لِيَحْسِبَهَا الرَّائِي كَوَاكِبَ
لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى . »

وَفِي الْعَامِ التَّالِي سَمَحَتْ الْجَدَّةُ لِلْأَمِيرَةِ الثَّانِيَةِ بِأَنْ
تَصْعَدَ إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ ، فَاتَّفَقَ أَنْ أُخْرِجَتْ رَأْسَهَا مِنَ الْمَاءِ
فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَتْ الشَّمْسُ فِيهِ تَغِيبُ وَرَاءَ الْأُفُقِ ، فَخَلَبَ
هَذَا الْمَشْهَدُ السَّاحِرُ لُبَّهَا ، وَوَصَفَتْهُ لِشَقِيقَاتِهَا بَعْدَ رُجُوعِهَا

وَهِيَ تَقُولُ :

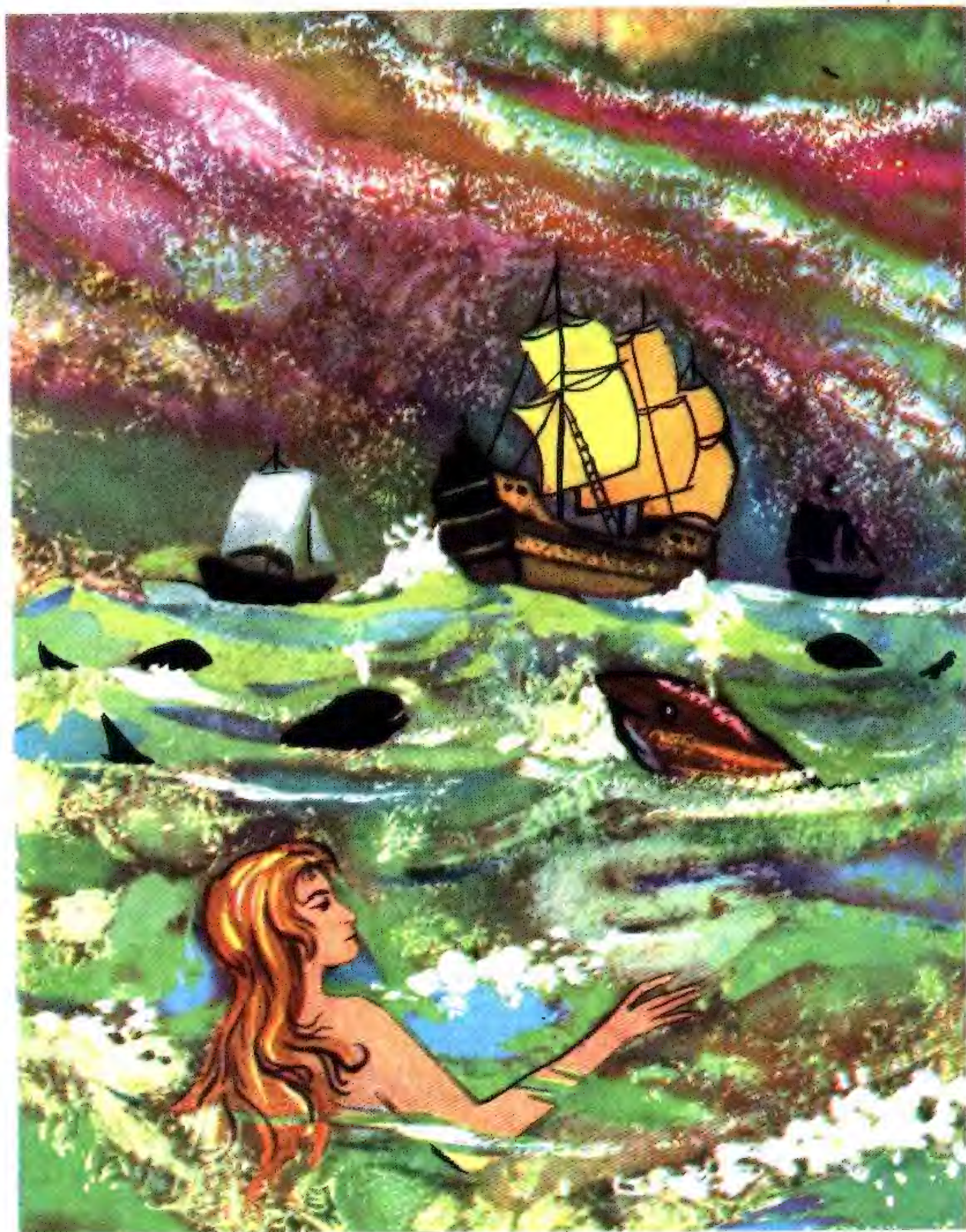
« كَانَتْ السَّمَاءُ تُشَبِّهُ سَيِّكَةً مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَتْ السُّحُبُ
الْمُتَنَاثِرَةُ فِيهَا مَصْبُوغَةً بِمُخْتَلِفِ الْأَلْوَانِ مَا بَيْنَ أَحْمَرَ وَأَصْفَرَ
وَبَنَفْسَجِيٍّ ، وَكَانَ سِحْرُ ذَلِكَ الْجَمَالِ فَوْقَ مَا يَتَوَهَّمُهُ
الْخَيَالُ ، وَكُنْتُ أَرَى فِي وَسْطِ تِلْكَ السُّحُبِ جَمَاعَةً مِنَ
الطُّيُورِ الْبَيْضِ مُتَّجِهَةً إِلَى الشَّمْسِ كَأَنَّهَا شِرَاعٌ أَيْضُ يُتَحَرَّكُ .
وَلَقَدْ أَرَدْتُ أَنَا أَيْضًا أَنْ أُسَبِّحَ إِلَى ذَلِكَ الْكَوْكَبِ الْأَحْمَرِ ،
وَلَكِنَّهُ سُرْعَانَ مَا غَابَ وَغَابَتْ مَعَهُ السُّحُبُ ، وَاخْتَفَتْ بَعْدَهَا
الْأَشِعَّةُ الْوَرْدِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ تَصْبِغُ وَجْهَ الْبَحْرِ . . . » .

وَجَاءَتْ نَوْبَةُ الْعَرُوسِ الثَّالِثَةِ ، وَكَانَتْ أَشْجَعُ أَخَوَاتِهَا
وَأَجْرَأَهُنَّ ، فَاجْتَازَتْ مَصَبَّ أَحَدِ الْأَنْهَارِ الْكَبِيرَةِ ، وَسَبَحَتْ
فِيهِ مَسَافَةً طَوِيلَةً تُمَتِّعُ نَظَرَهَا التَّلَالَ الْخَضِرُ وَكُرُومُ الْعِنَبِ ،
وَتُثِيرُ إِعْجَابَهَا الْمَزَارِعُ وَالْغَابَاتُ وَمَا شِيدَ فِيهَا مِنْ دُورٍ

وَقُصُورٍ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنْ رَوْعَةِ الزُّخْرُفِ وَجَمَالِ الْبِنَاءِ ،
 وَيُسْنِفُ أُذُنَيْهَا تَغْرِيدُ الْبَلَابِلِ بِالْحَانِهَا الْعَذْبَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي
 تَسْحَرُ الْفُؤَادَ ، وَكَانَتْ عِنْدَمَا تَلْفَحُ وَجْهَهَا حَرَارَةُ الشَّمْسِ ،
 تَغْطِسُ فِي الْمَاءِ قَلِيلًا لِتُبَلِّلَهُ وَتُرْطِّبَهُ ثُمَّ تَظْهَرُ ثَانِيَةً
 عَلَى صَفْحَةِ الْمَاءِ مُنْتَعِشَةً مُغْتَبِطَةً ... »

وَلَمْ تَكُنِ الْأُخْتُ الرَّابِعَةُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، فَآثَرَتْ
 أَنْ تَبْقَى فِي وَسْطِ الْبَحْرِ ، حَيْثُ يَمْتَدُّ الْمَاءُ إِلَى مَرْمَى الْبَصَرِ ،
 وَتَسْتَدِيرُ السَّمَاءُ فَوْقَهُ كَأَنَّهَا قُبَّةٌ مِنْ زُجَاجٍ ، فَلَمَحَتْ فِي
 الْأُفُقِ الْبَعِيدِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ السُّفُنِ ، جَعَلَهَا الْبُعْدُ لَا تَزِيدُ عَنْ
 حَجْمِ الطَّيْرِ ، وَقَدْ تَجَمَّعَتْ حَوْلَهَا الْحِيتَانُ وَهِيَ تَقْدِفُ أَعْمَدَةَ
 الْمَاءِ مِنْ مَنَاخِرِهَا .

وَوَقَعَتْ رِحْلَةُ الْعُرُوسِ الْخَامِسَةِ فِي قَلْبِ الشِّتَاءِ ، فَرَأَتْ
 مَا لَمْ تَرَهُ شَقِيقَاتُهَا : رَأَتْ الْبَحْرَ أَخْضَرَ اللَّوْنِ ، تَعُومُ فِيهِ



جِبَالٌ مِنَ الْجَلِيدِ ، غَرِيبَةُ الشَّكْلِ بَرَّاقَةٌ لَمَاعَةٌ لَمَعَانَ الْأَلْمَاسِ .
 وَيَوْمَ بَلَغَتْ أَصْغَرُ الْعَرَائِسِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا
 جَدَّتُهَا تَمْشِطُهَا وَتُزَيِّنُهَا ، وَتَجْلُوهَا أَحْسَنَ جَلْوَةٍ ، عَلَى غِرَارِ
 مَا فَعَلَتْهُ مَعَ أَخَوَاتِهَا السَّابِقَاتِ ، وَلَمْ تَكِدِ الْجَدَّةُ تَفْرَغُ مِنْ
 عَمَلِهَا حَتَّى قَالَتْ لَهَا الْعُرُوسُ الصَّغِيرَةُ :

— « وَدَاعًا يَا جَدَّتِي الْعَزِيزَةَ ... »

وَانْفَلَتَتْ مِنْهَا صَاعِدَةً إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ خَفِيفَةً رَشِيقَةً .
 وَعِنْدَمَا أَخْرَجَتْ رَأْسَهَا مِنَ الْمَاءِ ، كَانَتْ الشَّمْسُ قَدْ غَابَتْ
 مُنْذُ لَحَظَاتٍ ، وَالسُّحُبُ لَا تَزَالُ مُلَوَّنَةً بِلَوْنِ الْوَرْدِ وَالذَّهَبِ ،
 وَكَانَ كَوْكَبُ الْمَسَاءِ يَلْمَعُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ ، فِي حِينٍ كَانَ
 الْبَحْرُ سَاكِناً ، وَالْهَوَاءُ نَدِيًّا عَلِيلاً .

وَصَادَفَ أَنْ بَرَزَتْ عُرُوسُ الْبَحْرِ مِنَ الْمَاءِ ، عَلَى مَقْرُبَةٍ
 مِنْ سَفِينَةٍ لَمْ يَكُنْ مَنْشُورًا مِنْهَا غَيْرُ شِرَاعٍ وَاحِدٍ بِسَبَبِ



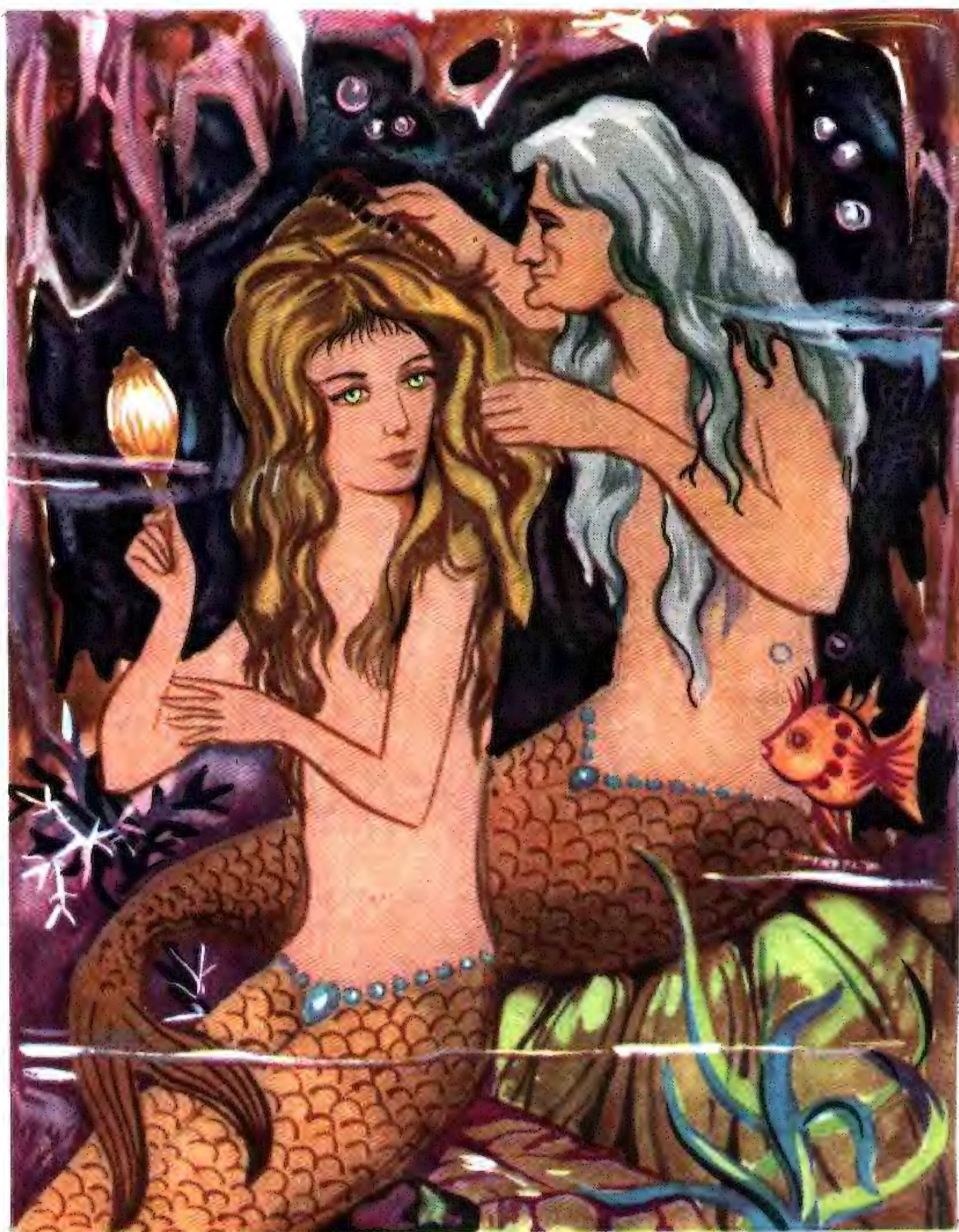
هُدُوءِ الْبَحْرِ ، فَحَدَّقَتْ فِيهَا فَرَأَتْ تَقَرًّا مِنَ الْمَلَّاحِينَ جَالِسِينَ
فَوْقَ الْحِبَالِ الْمَلْفُوفَةِ فِي أَرْضِهَا ، يُغْنُونَ وَيَعْرِفُونَ عَلَى آلَاتِ
الطَّرَبِ ، وَحِينَمَا هَبَطَ الْمَسَاءُ ، أُوقِدَتْ مِثَاتٌ مِنَ الْمَصَايِيحِ
الْمُلَوَّنَةِ كَانَتْ مُعَلَّقَةً عَلَى أَسَاطِينِ السَّفِينَةِ .

فَسَبَحَتِ الْعَرُوسُ الصَّغِيرَةُ إِلَى نَافِذَةٍ مِنْ نَوَافِذِ السَّفِينَةِ ،
وَكَانَتْ كُلَّمَا عَلَا بِهَا الْمَوْجُ ، رَأَتْ مِنْ وَرَاءِ زُجَاجِ النَّافِذَةِ
الشَّفَافِ ، غُرْفَةً فَسِيحَةً اجْتَمَعَ فِيهَا عَدَدٌ مِنَ الرِّجَالِ يَرْتَدُّونَ

الْمَلَابِسَ الْمُرَرَّكَشَةَ .

وَكَانَ أَجْمَلُهُمْ وَأَحْسَنُهُمْ بِرَّةً أَمِيرًا شَابًّا أَسْوَدَ الْعَيْنَيْنِ ،
مُسْتَرْسِلَ الشَّعْرِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ الْمَلَأْحُونَ يَرْقُصُونَ عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ ، صَعِدَ
الْأَمِيرُ الشَّابُّ إِلَيْهِمْ ، فَتَوَقَّفُوا عَنِ الرَّقْصِ ، وَأَطْلَقُوا مِثَاتِ
مِنَ السِّهَامِ النَّارِيَّةِ أَنْارَتِ الْفَضَاءَ ، فَتَمَلَّكَ الرُّعْبُ عُرُوسَ
الْبَحْرِ ، وَغَاصَتْ فِي الْمَاءِ ، غَيْرَ أَنَّ الْفُضُولَ دَفَعَهَا ثَانِيَةً إِلَى
وَجْهِ الْبَحْرِ ، فَرَأَتْ النُّجُومَ تَسَاقُطُ عَلَيْهِ مِنْهُمِرَةً انْهِمَارَ الْمَطَرِ ،
فَسُرَّتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ الرَّائِعِ ، وَعَلِمَتْ أَنَّ لَا مَجَالَ لِلْخَوْفِ ،
وَأَنَّ الْقَوْمَ يَحْتَفِلُونَ بِعِيدِ الْأَمِيرِ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ شَهِدَتْ
قَطُّ مِثْلَ ذَلِكَ الْإِحْتِفَالِ ، فَقَدْ تَبِعَ تَسَاقُطَ النُّجُومِ شُمُوسٌ
تَدُورُ ، وَمَنَاطِيدُ مُنِيرَةٌ تَتَصَاعَدُ فِي الْهَوَاءِ ، مِمَّا جَعَلَ تِلْكَ
الْقِطْعَةَ مِنَ الْبَحْرِ الْهَادِي شُعْلَةً تَضْطَرِمُ .



ثُمَّ شَهِدَتْ الْأَمِيرَ الْجَمِيلَ يُصَافِحُ جَمِيعَ النَّاسِ ، وَتَحَدَّثُ
مَعَهُمْ وَيَتَسَمُّ لَهُمْ .

وَبَدَأَ الْبَحْرُ بَعْدَ ذَلِكَ يَهِيْجُ وَيَثُورُ ، وَأَخَذَتِ الْأَمْوَاجُ
تَتَجَمَّعُ مُرْغِيَةً مُزْبِدةً ، وَطَفِقَتِ السُّحُبُ السُّودُ تُغَطِّي وَجْهَ
السَّمَاءِ ، وَمَا عَتَمَ الْبَرْقُ أَنَّ لَمَعَ فِي الْأُفُقِ ، وَأَعْقَبَهُ دَوِيُّ
الرَّعْدِ ، وَهُبُوبُ عَاصِفَةٍ هَوَّجَاءَ .

فَأَخَذَتِ السَّفِينَةُ تَتَرَنَّحُ عَلَى جَانِبَيْهَا تَارَةً ، وَتَلْطِمُهَا جِبَالُ
الْأَمْوَاجِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَتَعْلُو إِلَى قِمَمِهَا ، ثُمَّ تَهْبِطُ فِي أَحْضَانِهَا .
وَفَرِحَتِ الْعُرُوسُ الصَّغِيرَةُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لِهَذِهِ الرِّحْلَةِ
الْمُضْطَّرِبَةِ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمَّا سَمِعَتْ طَقْطَقَةَ أَلْوَاكِ السَّفِينَةِ ،
وَرَأَتْ السَّارِيَةَ قَدْ تَقَصَّفَتْ وَهَوَتْ مُتَحَطِّمَةً ، وَشَاهَدَتْ
السَّفِينَةَ قَدْ مَالَ جَانِبُهَا وَتَدَفَّقَتْ الْمِيَاهُ إِلَيْهَا مِنْ الْجَانِبِ الْآخِرِ ،
أَدْرَكَتْ عِنْدَئِذٍ مَعْنَى الْخَطَرِ ، وَاضْطَرَّتْ أَنْ تَتَدَارَى مِنْ قِطْعِ



الْخَشَبِ الَّتِي كَانَتْ تَنْفَصِلُ عَنْ السَّفِينَةِ وَتَقَازِفُهَا الْأَمْوَاجُ.
 وَسَادَ الْهَرَجُ وَالْمَرْجُ فِي السَّفِينَةِ ، ثُمَّ انْشَقَّتْ وَغَاصَتْ
 فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ بِمَنْ فِيهَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَرَأَتْ الْعَرُوسُ الصَّغِيرَةُ
 الْأَمِيرَ الشَّابَّ يَنْحَدِرُ فِي طَيَّاتِ الْمَاءِ ، فَاعْتَبَطَتْ كُلَّ الْإِغْتِبَاطِ ،
 وَظَنَّتْ أَنَّ الْأَمِيرَ سَيَنْزِلُ إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي تَسْكُنُهُ ، وَلَكِنَّهَا
 تَذَكَّرَتْ أَنَّ الْبَشَرَ لَا يَعِيشُونَ فِي الْمَاءِ ، فَغَاصَتْ فِي الْبَحْرِ
 مَثْنَى وَثَلَاثَ حَتَّى أَدْرَكَتِ الْأَمِيرَ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ

إِلَى الْحَيَاةِ ، فَأَمْسَكَتْ بِهِ وَرَفَعَتْ رَأْسَهُ فَوْقَ الْمَاءِ ،
وَأَسْتَلَمَتْ لِمَشِيئَةِ الْمَوْجِ يَدْفَعُهَا حَيْثُ شَاءَ .

وَطَلَعَ الصُّبْحُ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ عَنْ نَهَارٍ جَمِيلٍ ، أَشْرَقَتْ
فِيهِ الشَّمْسُ ، وَدَاعَبَتْ أَشِعَّتَهَا وَجْهَ الْأَمِيرِ الشَّابِّ ، فَعَادَ
قَلْبُهُ يَنْبِضُ بِالْحَيَاةِ ، وَكَانَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ
الْبَرِّ ، فَسَارَتْ بِهِ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَمَدَدَتْهُ فَوْقَ صَخْرَةٍ
كَبِيرَةٍ مِنْ صُخُورِهِ .

وَلَمَحَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ عِنْدَئِذٍ ، سِرًّا مِنْ الْفَتَيَاتِ يَتَمَشَّيْنَ
غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَرَجَعَتْ تَسْبِيحُ فِي الْبَحْرِ ، وَاخْتَبَأَتْ وَرَاءَ بَعْضِ
الصُّخُورِ لِتَرَى مَاذَا يَحْدُثُ لِلْأَمِيرِ الْمِسْكِينِ .

فَمَرَّتْ بِهِ فَتَاةٌ مِنْهُنَّ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَلَمْ تَكَدْ تَرَاهُ عَلَى
تِلْكَ الْحَالِ ، حَتَّى جَرَتْ مُسْرِعَةً وَعَادَتْ يَصْحَبُهَا نَفَرٌ مِنَ
النَّاسِ ، أَخَذُوا يُسْعِفُونَ الْأَمِيرَ بِمُخْتَلِفِ أَنْوَاعِ الْإِسْعَافِ ،





ثُمَّ رَأَتْهُ عَرُوسُ الْبَحْرِ قَدْ اسْتَعَادَ حَوَاسَّهُ ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ،
وَابْتَسَمَ لِمَنْ كَانُوا يُحِيطُونَ بِهِ .

وَنَهَضَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَاتَّجَهَ إِلَى قَصْرِهِ ، فَعَادَتْ عَرُوسُ
الْبَحْرِ حَزِينَةً كَثِيبَةً إِلَى قَصْرِ وَالِدِهَا .

وَكَانَتْ عَرُوسُنَا الصُّغْرَى يَغْلِبُ عَلَى طَبْعِهَا السُّكُوتُ
وَالْتَّفَكِيرُ ، فَازْدَادَتْ اعْتِصَامًا بِهِمَا بَعْدَ رُجُوعِهَا مِنْ رِحْلَتِهَا ،
وَعَبَثًا حَاوَلَتْ شَقِيقَاتُهَا أَنْ يَعْرِفْنَ مِنْهَا مَا وَقَعَ عَلَيْهِ نَظَرُهَا

فِي عَالَمِ الْبَشَرِ ، وَلَكِنَّهَا التَّرَمَّتِ الصَّمْتِ ، وَلَمْ تُنْبِسْ
بَيْنَ شَفَةِ .

وَكَثِيرًا مَا ذَهَبَتْ صَبَاحَ مَسَاءٍ إِلَى حَيْثُ تَرَكْتَ الْأَمِيرَ ،
لَعَلَّهَا تَرَاهُ ، وَلَكِنْ خَابَ فَالُهَا فَكَانَتْ تَعُودُ إِلَى أَعْمَاقِ الْبَحْرِ ،
وَتَفْسُهَا أَكْظَمُ حُزْنًا وَأَشَدُّ لَوْعَةً .

وَضَاقَ صَدْرُ الْعُرُوسِ الصُّغْرَى بِسِرِّهَا الْمَكْتُومِ ، وَثَقُلَتْ
عَلَيْهَا وَطْأَةُ الْحَيَاةِ ، فَأَفْضَتْ بِحَالِهَا إِلَى إِحْدَى شَقِيقَاتِهَا ،
وَتَقَلَّتْهُ هَذِهِ إِلَى الشَّقِيقَاتِ الْأُخْرَيَاتِ ، حَتَّى ذَاعَ بَيْنَهُنَّ جَمِيعًا .
وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ أَصْبَحَتِ الْعُرُوسُ الصُّغْرَى تُكْثِرُ مِنَ
التَّرَدُّدِ عَلَى قَصْرِ الْأَمِيرِ صَبَاحًا وَمَسَاءً ، وَتَقْتَرِبُ مِنَ الشَّاطِئِ ،
وَمَضَتْ بِهَا الْجُرْأَةُ إِلَى الْجُلُوسِ أَحْيَانًا تَحْتَ شُرْفَةِ الْقَصْرِ
الْمُنْعَكِسِ ظِلُّهَا عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ .

وَكَانَتْ مِنْ مَوَاقِعِهَا ذَلِكَ ، وَالْقَمَرُ نَاشِرٌ ضِيَاءَهُ ، تَرَى



الأمير في قصره ، جالسًا في غرفته حينًا ،
ومُحاطًا بالصحاب حينًا آخر .

ولطالما رآته قد ركب وهو لاء الصّحاب ، سفينة فاخرة
مُزينة بالأعلام ، ومروا بالقرب منها متمتعين بنزهة بحرية
في ضوء القمر ، وكانوا إذا لمحووا غطاءها الأبيض يخفق بين
القصب الأخضر، حسيبوها بجعة بيضاء قد بسطت جناحيها .
وازدادت العروس الصغرى يومًا بعد يوم محبة للبشر ،
ورغبة في الارتقاء إليهم ، ومشاهدتهم ، ومعرفة



مُخْتَلِفٍ شُؤُونِهِمْ ، وَلَمَّا عَجَزَتْ شَقِيقَاتُهَا عَنْ إِشْبَاعِ فُضُولِهَا
 وَالْإِجَابَةِ عَنْ آلاَفِ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي كَانَتْ تَطْرَحُهَا عَلَيْهِنَّ ،
 انْقَلَبَتْ إِلَى جَدَّتِهَا تَلْتِمِسُ عِنْدَهَا الْخَبَرَ الْيَقِينَ .
 فَسَأَلَتْهَا ذَاتَ يَوْمٍ قَائِلَةً :

— « إِذَا لَمْ يُصَبِّ بَنُو الْبَشَرِ بِالْغَرَقِ ، فَهَلْ يَعْيشُونَ أَبَدًا ؟
أَفَلَا يَمُوتُونَ كَمَا نَمُوتُ نَحْنُ ؟ » .

فَقَالَتْ لَهَا جَدَّتُهَا الْعَجُوزُ :

— « إِنَّهُمْ وَلَا شَكَّ يَمُوتُونَ ، وَإِنَّ حَيَاتَهُمْ لَأَقْصَرُ مِنْ
حَيَاتِنَا ، فَنَحْنُ قَدْ نَعِيشُ أَحْيَانًا ثَلَاثَ مِئَةِ عَامٍ ، وَنَتَحَوَّلُ
بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى زَبَدٍ ، فَرُوحُنَا غَيْرُ خَالِدَةٍ ، وَوُجُودُنَا يَنْتَهِي
بِالْمَوْتِ ، وَنَحْنُ أَشْبَهُ بِالْقَصَبِ الْأَخْضَرِ ، فَإِذَا مَا قُطِعَ يَبَسَ
وَفَقَدَ اخْضِرَّارَهُ ، أَمَّا بَنُو الْإِنْسَانِ فَلَهُمْ نَفْسٌ خَالِدَةٌ تَحْيَا
بَعْدَ أَنْ يَحُولَ الْجَسَدُ مِنْهُمْ إِلَى تُرَابٍ ، وَهَذِهِ النَّفْسُ تَرْقَى
عَلَى أَجْنِحَةِ الْهَوَاءِ إِلَى النُّجُومِ السَّاطِعَةِ ، فَمِثْلَمَا نَرْتَفِعُ نَحْنُ
مِنْ أَعْمَاقِ الْمَاءِ لِنَتَمَتَّعَ بِرُؤْيَا بِلَادِ الْبَشَرِ ، يَرْتَفِعُونَ هُمْ
إِلَى أُمْكِنَةٍ جَمِيلَةٍ وَاسِعَةٍ لَا تَرْقَى إِلَيْهَا شُعُوبُ الْمَاءِ . »

سَمِعَتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى هَذَا الْحَدِيثَ بِشَوْقٍ وَانْتِبَاهٍ

ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ حَزِينَةٌ :

- « وَلِمَاذَا لَا نَنَعِمُ نَحْنُ بِنَفْسِ خَالِدَةٍ ؟ أَفَلَيْسَتْ هُنَاكَ

وَسِيلَةٌ أَسْتَطِيعُ بِهَا أَنْ أَكْسِبَ نَفْسًا خَالِدَةً ؟ » .

فَقَالَتْ لَهَا جَدَّتُهَا الْعَجُوزُ :

- « هُنَاكَ وَسِيلَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكِنَّهَا فِي حُكْمِ الْمُسْتَحِيلِ ،

وَهِيَ أَنْ يُحِبَّكَ رَجُلٌ مِنْ الرِّجَالِ حُبًّا عَمِيقًا بَلِيغًا ، فَتُصْبِحِي

أَعَزَّ عَلَيْهِ مِنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ ، فَإِذَا تَعَلَّقَ بِكِ مِنْ قَرَارَةٍ نَفْسِهِ

وَصَمِيمِ فُؤَادِهِ ، وَضَمَّ رَجُلٌ الدِّينَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى يَدِكَ

الْيُمْنَى ، وَنَذَرَ لَكَ وَفَاءً لَا يَزُولُ فَحِينَئِذٍ تَسْرِي رُوحَهُ إِلَى

جَسَدِكَ ، وَتَنْتَضِمِينَ فِي سَعَادَةِ الْبَشَرِ ، وَلَكِنْ هِيَئَاتِ ! فَهَذَا

الَّذِي نَعُدُّهُ ، نَحْنُ سُكَّانَ الْمَاءِ ، عُنُوانَ الْجَمَالِ الْبَارِعِ ، وَهُوَ

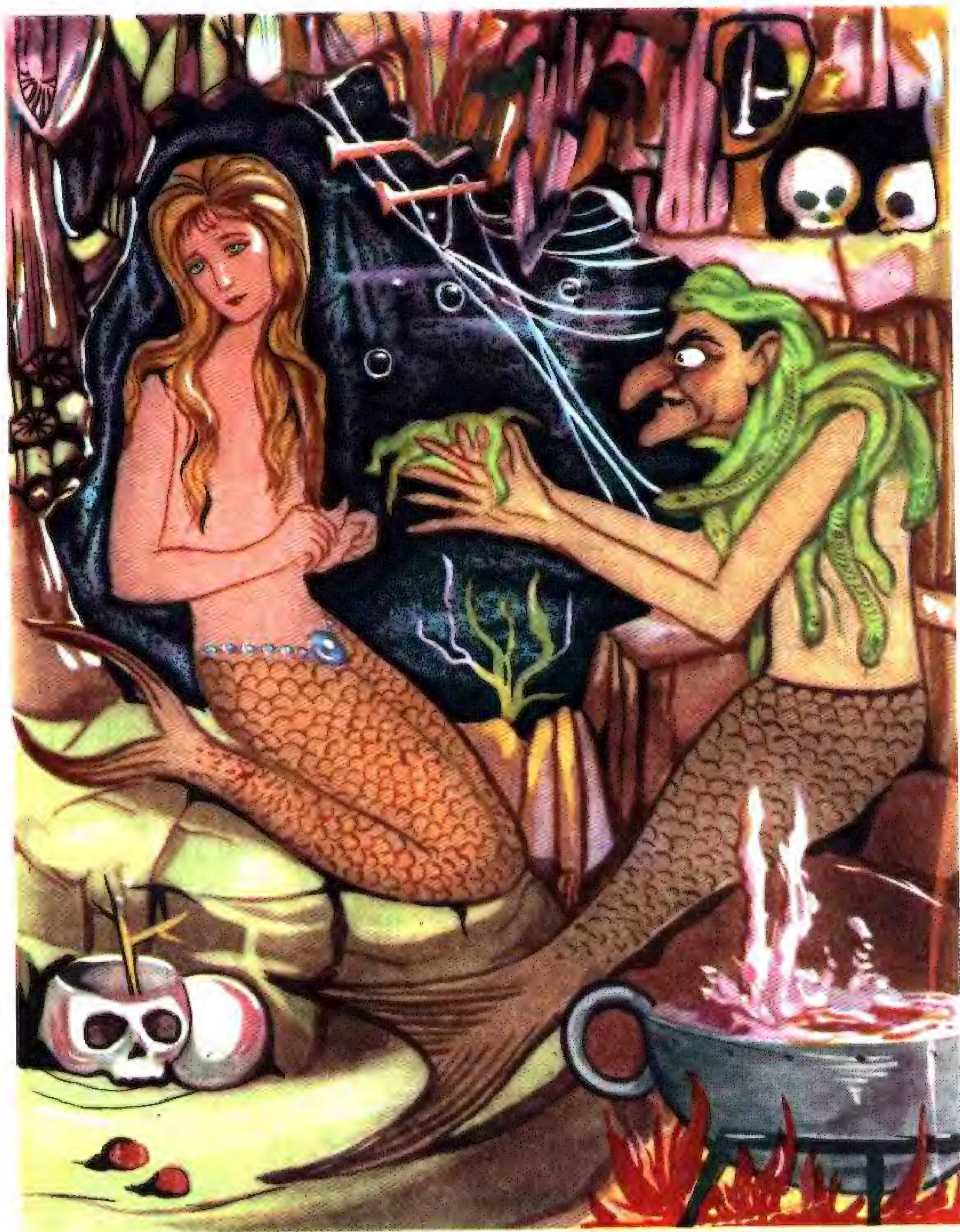
ذَيْلُ السَّمَكَةِ الَّذِي تَنْتَهِي بِهِ أَجْسَادُنَا ، يُعْدُونَهُ فِي الْأَرْضِ

أَكْرَهَ الْأَشْيَاءِ وَأَقْبَحَهَا . »

نَظَرَتْ الْعُرُوسُ الصُّغْرَى إِلَى ذَيْلِهَا ، وَتَنَهَّدَتْ تَنَهُدَةً
 عَمِيقَةً أَغْرَبَتْ بِهَا عَنْ مَبْلَغِ الْحُزَنِ الَّذِي يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِهَا .
 فَاسْتَأْنَفَتِ الْجَدَّةُ الْعَجُوزُ كَلَامَهَا وَقَالَتْ :
 - « عَلَيْنَا أَنْ تَفْرَحَ وَنَغْتَبِطَ ، وَأَنْ تَقْفِرَ وَنَلْهُو ، مَا وَسِعَنَا
 الْقَفْرُ وَاللَّهُوُ وَالْفَرَحُ ، فِي خِلَالِ الْمِائَاتِ الثَّلَاثِ مِنْ حَيَاتِنَا ،
 فَهِيَ قَفْرَةٌ مِنَ الزَّمَنِ طَوِيلَةٌ جَمِيلَةٌ ، وَلَيْكُنْ بَعْدَهَا
 مَا يَكُونُ » .

فَتَعَزَّتِ الْعُرُوسُ الصُّغْرَى بِهَذَا الْحَدِيثِ ، وَقَضَتْ بَعْضَ
 الْوَقْتِ تُغْنِي وَتَلْهُو ، حَتَّى إِذَا عَادَتْ تُفَكِّرُ فِي الْأَمِيرِ الْجَمِيلِ ،
 وَفِي نَفْسِهِ الْخَالِدَةِ ، عَاوَدَهَا الْحُزْنُ فَانْقَطَعَتْ عَنِ الْغِنَاءِ
 وَالضَّحِكِ ، وَكَانَتْ لَا تُلْفِي إِلَّا مَهْمُومَةً مُفَكِّرَةً .

وَخَرَجَتْ يَوْمًا مِنَ الْقَصْرِ ، وَهِيَ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا :
 - « لِمَ لَا أَذْهَبُ إِلَى سَاحِرَةِ الْبَحْرِ ، وَإِنْ كَرِهْتُ حَتَّى



الْيَوْمَ أَعْمَالَهَا ، فَلَعَلَّهَا تُعِينُنِي وَتُزَوِّدُنِي بِبَعْضِ النَّصَائِحِ .
 وَتَوَجَّهَتِ الْعُرُوسُ الصُّغْرَى إِلَى حَيْثُ تُقِيمُ السَّاحِرَةُ ،
 فَمَرَّتْ فِي طَرِيقِهَا بِسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ فِي الْغَابَةِ تَتَمَرَّغُ فِيهَا
 حَيَّاتُ الْبَحْرِ ، وَتَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، وَكَانَ مَسْكَنُ السَّاحِرَةِ
 فِي وَسْطِ تِلْكَ السَّاحَةِ ، وَقَدْ شِيدَ مِنْ عِظَامِ الْغُرَقَى ، فَوَجَدَتْهَا
 جَالِسَةً فَوْقَ حَجَرٍ ضَخْمٍ يُطْعِمُ سَرَطَانًا كَانَ فِي كِفِّهَا ،
 كَمَا يُطْعِمُ الْبَشَرُ الْبَلَابِلَ ، وَيُقَدِّمُونَ لَهَا قِطْعَ السُّكَّرِ ، وَكَانَ
 يَحْلُو لَهُذِهِ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ أَنَّ تُسَمَّى الشَّعَابِينَ دَجَاجَهَا
 الْمَحْبُوبَ ، وَأَنَّ تَجْعَلَهَا تَلْتَفُ حَوْلَ صَدْرِهَا الْمُقَفَّعِ .
 فَمَا إِنَّ أَبْصَرَتْ بِالْعُرُوسِ الصُّغْرَى مُقْبِلَةً إِلَيْهَا ، حَتَّى
 بَادَرَتْهَا قَائِلَةً :

- « أَعْرِفُ مَا تُرِيدِينَ ... إِنَّ رَغْبَاتِكَ مِنَ الْحُمُقِ بِمَكَانٍ ،
 غَيْرَ أَنَّنِي سَأُعِينُكَ عَلَيْهَا وَإِنْ جَلَبْتُ لَكَ الشَّقَاءَ وَالْدَّمَارَ ... »

إِنَّكَ تَرْغِبِينَ فِي أَنْ تَتَخَلَّصِي مِنْ ذَلِكَ ، وَتَسْتَعِضِيَ عَنْهُ
بِالْقِطْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يَمْشِي بِهِمَا الْبَشَرُ ، حَتَّى يُغْرَمَ بِكَ
الْأَمِيرُ ، وَيَتَزَوَّجَكَ وَيَمْنَحَكَ نَفْسًا خَالِدَةً ... »

وَأَتَّبَعَتْ كَلَامَهَا بِقَهْقَرَةٍ عَالِيَةٍ مُخِيفَةٍ ، أَسْقَطَتْ مِنْ
كَفِّهَا وَصَدْرِهَا السَّرَطَانَ وَالْحَيَّاتِ ثُمَّ قَالَتْ :

— « سَأَعِدُّ لَكَ شَرَابًا تَحْمِلِينَهُ مَعَكَ ، وَتَشْرَبِينَهُ عِنْدَمَا

تَصِلِينَ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَتَجْلِسِينَ فَوْقَ رِمَالِ النَّاعِمَةِ ، وَسَوْفَ
تَرَيْنَ ذَلِكَ قَدْ انْشَقَّ عَلَى الْفَوْرِ إِلَى مَا يُسَمِّيهِ الْبَشَرُ سَاقِينَ
جَمِيلَتَيْنِ ، وَلَكِنَّ عَذَابَكَ سَيَكُونُ أَلِيمًا .

وَلَسَوْفَ تَخْلُبِينَ أَلْبَابَ الْبَشَرِ بِجَمَالِكَ الْفَتَّانِ ، وَقَدْ كِ
الْمَمْشُوقِ ، وَمِشِيَّتِكَ الْخَفِيفَةِ اللَّطِيفَةِ ، وَلَسْتُ أُخْفِي عَنْكَ
أَنْ كُلَّ خُطْوَةٍ تَخْطِينَهَا سَتُسَبِّبُ لَكَ آلامًا مُبَرِّحَةً كَمَا لَوْ
كُنْتَ تَدُوسِينَ عَلَى الدَّبَائِيسِ ، فَإِنْ وَاظَمْتَ عَلَى تَحْمُلِ

مِثْلِ هَذَا الْعَذَابِ ، فَإِنِّي بِإِذْلَةٍ لَكَ الْعَوْنُ الَّذِي
تَطْمَعِينَ فِيهِ .

فَقَالَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ بِصَوْتٍ مُرْتَجِفٍ ، وَهِيَ تُفَكِّرُ
فِي الْأَمِيرِ وَفِي النَّفْسِ الْخَالِدَةِ :
- « سَوْفَ أَتَحْمَلُ كُلَّ ذَلِكَ » .

فَقَالَتْ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ :

- « وَاعْلَمِي أَنَّكَ إِذَا مَا اسْتَحَلْتِ إِلَى مَخْلُوقٍ مِنْ بَنِي
الْإِنْسَانِ ، فَلَنْ تَعُودِي أَبَدًا إِلَى عَرُوسٍ مِنْ عَرَائِسِ الْبَحْرِ ،
وَلَنْ تَرَى مَا حَيَّتِ قَصْرَ أَبِيكَ ، وَاعْلَمِي كَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا لَمْ
يُحِبَّكَ الْأَمِيرُ مِنْ قَرَارَةِ نَفْسِهِ وَصَمِيمِ فُؤَادِهِ ، وَلَا أَثَرَ
عَلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ ، أَوْ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَشَأْ أَنْ يُبَارِكَ زَوَاجَكُمَا رَجُلٌ
مِنْ رِجَالِ الدِّينِ ، فَلَنْ تَظْفِرِي أَبَدًا بِنَفْسِ خَالِدَةٍ ، فِي
الْيَوْمِ الَّذِي يَتَزَوَّجُ فِيهِ امْرَأَةٌ أُخْرَى ، يَتَحَطَّمُ فُؤَادُكَ ،



وَتَنْقَلِبِينَ بَعْدَ يَوْمٍ وَاحِدٍ إِلَى قِطْعَةٍ مِنَ الزَّبَدِ تَتَهَادَى فَوْقَ
رُؤُوسِ الْأَمْوَاجِ .

فَقَالَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ وَقَدْ وَشَّحَتْ وَجْهَهَا صُفْرَةً وَلَا
صُفْرَةً الْأَمْوَاتِ :

- « إِنِّي أُوَافِقُ عَلَى كُلِّ مَا تَقُولِينَ .
فَاسْتَأْنَفْتُ السَّاحِرَةَ الْعَجُوزَ كَلَامَهَا وَقَالَتْ :

- « فَعَلَيْكَ إِذْنٌ أَنْ تَنْقُذِي أَجْرِي ... إِنَّ صَوْتَكَ
أَجْمَلُ صَوْتِ بَيْنَ عَرَائِسِ الْمَاءِ ، وَإِنَّكَ لَتَأْمُلِينَ أَنْ تَأْسِرِي
بِهِ قَلْبَ الْأَمِيرِ ، غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُهُ أَجْرًا لِصَنِيْعِي .
فَقَالَتِ الْأَمِيرَةُ الصُّغْرَى مُتَحَيِّرَةً :

- « إِذَا أَنْتِ أَخَذْتِ صَوْتِي فَمَاذَا يَبْقَى لِي ؟ »
فَقَالَتِ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ بِلَهْجَةِ الْوَائِقِ :

- « يَبْقَى لَكَ جَمَالُ طُلْعَتِكَ وَلُطْفُ مِشْيَتِكَ وَسِحْرُ

عَيْنِكَ ، وَحَسْبُكَ كُلُّ هَذَا فِي سَبِيلِ الظَّفَرِ بِقَلْبِ إِنْسَانٍ ...
 فَتَشَجِّعِي يَا ابْنَتِي ، وَمُدِّي لِسَانَكَ لِأَدْهِنَهُ بِدِهَانِ سِحْرِي ،
 وَلَكَ مِنِّي بَعْدَ ذَلِكَ مَا وَعَدْتُكَ بِهِ مِنْ شَرَابٍ .

فَقَالَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ :

- « لِيَكُنْ مَا تُرِيدِينَ يَا خَالَهٗ » .

وَدَهَنَتِ السَّاحِرَةُ الْعَجُوزُ لِسَانَ الْأَمِيرَةِ الصُّغْرَى ، فَانْقَلَبَتْ
 خَرَسَاءً . وَتَنَاوَلَتِ السَّاحِرَةُ بَعْدَ عَمَلِهَا الْفَظِيعِ قِدْرًا وَضَعَتْهَا
 عَلَى النَّارِ ، لِتُغْلِيَ فِيهَا الشَّرَابَ السِّحْرِيَّ الَّذِي سَتَصْنَعُهُ .
 وَحِينَ رَجَعَتِ الْعَرُوسُ الصُّغْرَى إِلَى قَصْرِ أَبِيهَا ، كَانَ
 كُلُّ مَنْ فِيهِ يَغِطُّ فِي النَّوْمِ ، فَلَمْ تَجْرُؤْ مَعَ هَذَا عَلَى الدُّخُولِ ،
 فَكَيْفَ تُكَلِّمُهُمْ ، وَكَيْفَ تُودِّعُهُمُ الْوَدَاعَ الْأَخِيرَ ، فَشَعَرَتْ
 أَنَّ قَلْبَهَا يَتَفَطَّرُ حُزْنًا وَأَسَى .

وَأَنْدَفَعَتْ إِلَى الشَّاطِئِ وَجَلَسَتْ فَوْقَ رِمَالِهِ النَّاعِمَةِ ،

وَشَرِبْتُ الشَّرَابَ السَّحْرِيَّ ، فَأَحَسْتُ فِي الْحَالِ بِانْشِقَاقِ ذَيْلِهَا
كَأَنَّ سَيْفًا مَاضِيًا قَدْ بَتَرَهُ نِصْفَيْنِ ، فَوَقَعَتْ مَغْشِيًا عَلَيْهَا ،
وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَتْ كَانَتْ الشَّمْسُ تَسْطَعُ أَشْعَتُهَا فَوْقَ الْمَاءِ ،
وَكَانَتْ حَرَارَتُهَا تَسْلُخُ جِلْدَ عَرُوسِ الْمَاءِ ، وَلَكِنَّهَا تَعَزَّتْ
عَنْ هَذَا بَرُوءِيَّةِ الْأَمِيرِ الشَّابِّ وَاقِفًا بِإِزَائِهَا يُحَدِّقُ إِلَيْهَا
بِعَيْنَيْهِ السَّوْدَاوَيْنِ .

وَأَحْنَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ رَأْسَهَا ، فَرَأَتْ أَنَّ ذَيْلَ السَّمَكَةِ فِيهَا
قَدْ اخْتَفَى ، وَحَلَّتْ مَحَلَّهُ سَاقَانِ يَيْضَاوَانِ جَمِيلَانِ .
فَسَأَلَهَا الْأَمِيرُ مَنْ تَكُونُ ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ
نَظْرَةً حُلُوءَةً حَزِينَةً ، دُونَ أَنْ تَسْتَطِيعَ النُّطْقَ بِكَلِمَةٍ
وَاحِدَةٍ ، فَلَمْ يُثْقِلِ الْأَمِيرُ عَلَيْهَا بِالسُّؤَالِ ، وَأَمْسَكَ يَدَيْهَا ،
وَصَحَبَهَا إِلَى قَصْرِهِ ، وَعَانَتْ الْمِسْكِينَةَ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ
خَطَّتْهَا آلامًا مُبَرِّحَةً ، وَلَكِنَّهَا صَعِدَتْ سُلَّمِ الرِّخَامِ مُتَأَبِّطَةً

ذِرَاعَ الْأَمِيرِ بِرَشَاقَةٍ أُعْجِبَ بِهَا جَمِيعُ النَّاظِرِينَ ، إِعْجَابَهُمْ
بِجَمَالِهَا السَّاحِرِ .

وَأَقْبَلَتِ الْجَوَارِي تَغْنِي لِلْأَمِيرِ ، وَتُسْمِعُهُ رَخِيمَ النِّغَمَاتِ ،
فَضَفَقَ لَهَا طَوِيلًا وَهُوَ يَبْتَسِمُ لِعُرُوسِ الْبَحْرِ ، فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا :
- « آه لَوْ كَانَ يَدْرِي أَنِّي ضَحَّيْتُ مِنْ أَجْلِهِ بِصَوْتٍ
أَجْمَلَ مِنْ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ ! »

وَعَمَدَتِ الْجَوَارِي بَعْدَ الْغِنَاءِ إِلَى الرَّقْصِ ، فَشَارَكَتْهَا عُرُوسُ
الْبَحْرِ فِيهِ ، رَاقِصَةً عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِ قَدَمَيْهَا فِي خِفَّةٍ أَدْهَشَتْ
الْحَاضِرِينَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ أَىَّ عَذَابٍ قَاسَتْهُ فِي ذَلِكَ الرَّقْصِ .
وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ أَلْبَسَهَا الْأَمِيرُ حُلَّةَ الْفُرْسَانِ ، فَامْتَطَى
كُلُّ مِنْهُمَا جَوَادًا مُطَهَّمًا ، وَسَارَا مَعًا يَطُوفَانِ بِالْغَابَاتِ ، ثُمَّ
تَرَجَّلَا وَأَخَذَا يُصْعِدَانِ فِي الْجِبَالِ ، فَدَمِيتُ قَدَمَاهَا وَهِيَ
لَا تَفْقَأُ تَضْحَكُ وَتَبْتَسِمُ .

وَعِنْدَمَا عَادَا إِلَى الْقَصْرِ ، وَأَوَى كُلُّ مَنْ فِيهِ إِلَى فِرَاشِهِ
 نَزَلَتْ إِلَى الْبَحْرِ لِتُرِطَبَ بِمَائِهِ الْبَارِدِ قَدَمَيْهَا الْمُحْتَرِقَتَيْنِ ،
 فَخَفَقَ فُؤَادُهَا بِذِكْرِى وَطَنِهَا وَأَهْلِهَا .
 وَذَاعَ فِي الْقَصْرِ بَعْدَ أَيَّامٍ خَبْرٌ يَقُولُ إِنَّ الْأَمِيرَ يُعِدُّ
 سَفِينَةً لِلذَّهَابِ بِهَا إِلَى زِيَارَةِ مَمْلَكَةِ مَجَاوِرَةٍ ، وَفِي نَيْتِهِ
 أَنْ يَتَزَوَّجَ بِنْتَ الْمَلِكِ .

سَمِعَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ
 هَذَا النَّبَأَ ، فَاضْطَرَبَتْ لَهُ
 وَأَزْعَجَهَا ، وَعَلِمَتْ أَنَّ
 سَاعَتَهَا قَدْ حَانَتْ .

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ رَكِبَ
 الْأَمِيرُ وَحَاشِيَتُهُ ، وَفِيهِمْ
 عَرُوسُ الْبَحْرِ ، سَفِينَةٌ جَمِيلَةٌ



وَسَارَتْ تَمَخَّرُ بِهِمْ عُبَابَ الْبَحْرِ .

وَفِي الصَّبَاحِ دَخَلَتِ السَّفِينَةُ مِينَاءَ الْمَمْلَكَةِ الْمُجَاوِرَةِ ،
فَدَقَّتِ الْأَجْرَاسُ احْتِفَاءً بِقُدُومِهَا وَصَدَحَتِ الْمَوْسِيقَى مِنْ
أَعَالِي الْأَنْبَاجِ ، وَاصْطَفَّتِ الْجُنُودُ تَحْتَ الْأَعْلَامِ الْخَفَاقَةَ
تُرْحِبُ بِالْأَمِيرِ .

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ فِي أَعْيَادِ مَوْصُولَةٍ ، وَمَادِبِ مُتَلَحِّقَةٍ ،
يَسُودُهَا الرِّقْصُ وَالْغِنَاءُ وَالْمَوْسِيقَى ، حَتَّى عَمَّ الْبِشْرُ كُلَّ حَىٍّ
فِي تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ .

وَمُنْذُ أَنْ وَقَعَ نَظَرُ عَرُوسِ الْبَحْرِ عَلَى خَطِيبَةِ الْأَمِيرِ الَّتِي
سُتُصِبِحُ زَوْجَتَهُ ، أُخِذَتْ بِجَمَالِهَا وَحُسْنِهَا وَرِقَّةِ خِلَالِهَا ،
فَغَبَطَتْهَا عَلَى سَعَادَتِهَا ، وَلَمْ تُضْمِرْ لَهَا فِي جَوَانِحِهَا شَيْئًا مِنْ
الْحَقْدِ وَالْبَغْضَاءِ .

وَأَزِفَ يَوْمُ زَوَاجِ الْأَمِيرِ ، فَزَفَّتْ إِلَيْهِ عَرُوسُهُ فِي احْتِفَالٍ



بِهَيْجٍ شَهِدَتْهُ عَرُوسُ الْبَحْرِ وَهِيَ تُدْرِكُ أَنَّهَا سَتْفَارِقُ عَمَّا قَرِيبٍ
هَذِهِ الدُّنْيَا ، بَلْ سَتْفَارِقُ الْحَبِيبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ هَجَرَتْ
وَطَنَهَا وَأَهْلَهَا ، وَضَحَّتْ بِصَوْتِهَا الْجَمِيلِ ، وَقَاسَتْ أَشَدَّ الْآلَامِ .
وَحِينَ هَبَطَ الْمَسَاءُ ، رَكِبَ الْعَرُوسَانِ سَفِينَةَ الْأَمِيرِ ،
وَذَهَبَا يَقْضِيَانِ شَهْرَ الْعَسَلِ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ ، وَرَحَلَتْ
مَعَهُمَا حَاشِيَةُ الْأَمِيرِ وَحَاشِيَةُ الْأَمِيرَةِ .
وَقَضَى الْمُسَافِرُونَ لَيْلَةً مِنْ أَسْعَدِ اللَّيَالِي فِي السَّفِينَةِ ،

أُوقِدَتْ فِيهَا الْمَصَابِيحُ فِي طُولِ السَّفِينَةِ وَعَرَضُهَا ، وَعُلِقَتْ
الزَّيِّنَاتُ ، وَدَارَتْ لَذَائِدُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ عَلَيْهِمْ .

أَمَّا عَرُوسُ الْبَحْرِ فَكَانَتْ تُشَارِكُ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْمَبَاهِجِ ،
غَيْرَ أَنَّ صَدْرَهَا كَانَ مَمْلُوءًا بِالْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحَسْرَةِ .

وَعِنْدَ الْهَزِيعِ الْأَخِيرِ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ انْقَضَ الْحَفْلُ ،
وَدَخَلَ الْعَرُوسَانِ مَخْدَعَهُمَا ، وَنَامَ الْقَوْمُ وَسَادَ السُّكُونُ .

وَبَقِيَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ سَاهِرَةً ، وَصَعِدَتْ إِلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ ،
وَأَخَذَتْ تُحَدِّقُ إِلَى الْأُفُقِ الْبَعِيدِ وَهِيَ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا : مِنْ
هُنَا سَوْفَ تُشْرِقُ الشَّمْسُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَلَسَوْفَ أُوَدِّعُ الْحَيَاةَ
عِنْدَ ظُهُورِ أَوَّلِ شُعَاعِ مِنْهَا .

وَعَلَى حِينٍ فَجْأَةً بَرَزَتْ شَقِيقَاتُهَا مِنَ الْبَحْرِ شاحِبَاتِ الْوَجْهِ
مَقْصُوصَاتِ الشَّعْرِ ، فَقُلْنَ لَهَا :

« لَقَدْ قَصَصْنَا شَعْرَنَا وَأَعْطَيْنَاهُ السَّاحِرَةَ الْعَجُوزَ ، لِتَشُدَّ أَرْكَ

وَتُنْقِذَكَ مِنَ الْمَوْتِ ، فَقَدَّمَتْ لَنَا هَذِهِ السِّكِّينَ الْحَادَّةَ ، فَخُذِيهَا
وَأَعْمِدِي نَصْلَهَا فِي قَلْبِ الْأَمِيرِ قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ،
فَعِنْدَمَا يَنْسَكِبُ دَمُهُ فَوْقَ قَدَمَيْكَ فَسَوْفَ تَتَّصِلَانِ وَتَسْتَحِيلَانِ
إِلَى ذَيْلِ سَمَكَةٍ كَمَا كَانَتَا ، ثُمَّ تَعُودِينَ عَرُوسًا مِنْ عَرَائِسِ
الْبَحْرِ . فَتَنْزِلِينَ مَعَنَا إِلَى أَعْمَاقِ الْمَاءِ ، وَلَنْ تَحُولِي إِلَى زَبَدٍ
إِلَّا عِنْدَمَا تَبْلُغِينَ ثَلَاثِمِائَةَ عَامٍ مِنَ الْعُمْرِ . فَعَجَلِي
وَلَا تَتَوَانَى فَقَدْ بَدَأَ خَيْطُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ يَلُوحُ فِي الْأُفُقِ
فَلَا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ أَحَدِكُمَا ، فَاقْتْلِيهِ وَعُودِي إِلَيْنَا .

وَعُصْنَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي طَيَّاتِ الْأُمُوجِ .

وَمَضَتِ الْعُرُوسُ الصُّغْرَى إِلَى مَخْدَعِ الْأَمِيرِ ، فَدَخَلَتْهُ
وَرَأَتْهُ نَائِمًا وَقَدْ أَلْقَتْ عَرُوسُهُ بِرَأْسِهَا إِلَى صَدْرِهِ ، فَاقْتَرَبَتْ
مِنْهُمَا ، وَرَفَعَتِ السِّكِّينَ بِيَدِ مُرْتَجِفَةٍ ، وَنَظَرَتْ مِنَ النَّافِذَةِ
الْمَفْتُوحَةِ إِلَى الْأُفُقِ وَقَدْ بَدَأَتِ الشَّمْسُ تَشُقُّ فِيهِ السُّحُبَ

ثُمَّ ... رَمَتْ بِالسَّكِّينِ إِلَى الْبَحْرِ ، وَخِيلَ إِلَيْهَا أَنَّهَا تَرَى
نُقْطًا مِنَ الدَّمِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ السَّكِّينُ ،
وَنَظَرَتْ نَظْرَةً أَخِيرَةً إِلَى الْأَمِيرِ ، وَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي الْمَاءِ ،
فَشَعَرَتْ أَنَّ جِسْمَهَا يَتَحَوَّلُ إِلَى زَبَدٍ .

وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَسَقَطَتْ أَشِعَّتُهَا الْخَيْرَةُ
عَلَى الزَّبَدِ الْبَارِدِ ، فَأَحَسَّتِ الْعُرُوسُ الصُّغْرَى بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ ،
وَعَلِمَتْ أَنَّهَا لَمْ تَمُتْ ، فَطَلَعَتْ إِلَى الشَّمْسِ وَإِلَى السُّحْبِ الْحُمْرِ
الَّتِي تُحِيطُ بِهَا ، وَلَمَحَتْ فِي الْجَوِّ آلاَفَ الْمَخْلُوقَاتِ الشَّفَافَةِ
تُرْفِرُ فَوْقَهَا ، وَتَهْمِسُ بِنَغَمٍ عَذْبٍ لَا تَسْمَعُهُ أُذُنُ إِنْسَانٍ .
وَلَا حَظَّتْ عُرُوسُ الْبَحْرِ أَنَّ لَهَا جِسْمًا قَدْ انْبَثَقَ مِنَ الزَّبَدِ ،
وَشَابَهُ أَجْسَامَ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ ، فَسَاءَلَتْ حَيْرَى :

— « أَيْنَ أَنَا ؟ »

فَسَمِعَتْهُنَّ يَقُلْنَ لَهَا :

– « أَنْتِ عِنْدَ بَنَاتِ الْهَوَاءِ . إِنَّ عَرَائِسَ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُنَّ
 نَفْسٌ خَالِدَةٌ ، وَلَا يُمَكِّنُهُنَّ الْحُصُولُ عَلَى تِلْكَ النَّفْسِ إِلَّا
 بِقُوَّةِ الْحُبِّ الَّذِي يَخْتَلِجُ فِي قَلْبِ الرَّجُلِ ، وَنَحْنُ بَنَاتِ
 الْهَوَاءِ ، لَيْسَ لَنَا كَذَلِكَ نَفْسٌ خَالِدَةٌ ، وَلَكِنْ نَسْتَطِيعُ
 الْحُصُولَ عَلَيْهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، فَتَطِيرُ إِلَى الْبِلَادِ الْحَارَّةِ
 لِنُرِطَبَ الْجَوِّ ، وَنُنْقِذَ النَّاسَ مِنْ لَهَبِ الْحَرِّ ، وَنُبْثُ
 الْجَوَّ عِطْرَ الْأَزْهَارِ ، فَحَيْثُمَا مَرَرْنَا ، نُنْعِشُ النَّاسَ وَنَهْبِهِمُ
 الصِّحَّةَ ، فَإِذَا امْتَدَّتْ أَعْمَالُنَا الصَّالِحَةُ إِلَى ثَلَاثِ مِئَةِ عَامٍ ،
 نَكْسِبُ بَعْدَهَا نَفْسًا خَالِدَةً ، وَنُشَارِكُ النَّاسَ فِي سَعَادَتِهِمْ
 الْأَبَدِيَّةِ . »

وَسَكَنَ قَلِيلًا ثُمَّ أُرْدَفْنَ قَائِلَاتٍ :

– « وَلَقَدْ بَذَلْتَ أَنْتِ أَيَّتُهَا الْمِسْكِينَةُ نَفْسَ مَا بَذَلُ
 مِنْ جُهْدٍ ، فَتَعَذَّبْتَ كَمَا نَتَعَذَّبُ ، وَخَرَجْتَ مِنْ تَجَارِبِكِ



فَإِزَّةً مُنْتَصِرَةً ، وَارْتَفَعَتْ إِلَى عَالَمِ أَرْوَاحِ الْهُوَاءِ ، فَاعْتَمَدِي
فِيهِ عَلَى صَالِحِ الْأَعْمَالِ تَكْسِبِي نَفْسًا خَالِدَةً .

فَرَفَعَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ ذِرَاعَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ وَذَرَفَتْ الدَّمْعَ .

وَكَانَتْ الْحَيَاةُ وَالْجَلْبَةُ قَدْ عَادَتَا إِلَى السَّفِينَةِ ، فَرَأَتْ

عَرُوسُ الْبَحْرِ الْأَمِيرَ وَزَوْجَتَهُ يُطِيلَانِ التَّحْدِيقَ إِلَى الْمَوْجِ

الْمُزْبِدِ ، وَالْكَآبَةُ مُرْتَسِمَةٌ عَلَى وَجْهَيْهِمَا ، كَأَنَّهُمَا

عَرَفَا أَنَّهَا أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا فِي حِضْنِ الْمَاءِ .

كَانَتْ عَرُوسُ الْبَحْرِ بِإِزَائِهِمَا ، وَلَكِنْ أَعْيُنَ الْبَشَرِ

لَا تَرَى الْأَرْوَاحَ الشَّفَافَةَ ، فَابْتَسَمَتْ لِلْأَمِيرِ ، وَطَبَعَتْ

قُبْلَةً عَلَى خَدِّ زَوْجَتِهِ ، ثُمَّ رَكِبَتْ سَحَابَةً وَرَدِيَّةً فِي

صُحْبَةِ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْهُوَاءِ ، وَحَلَّقَتْ فِي كِبِدِ الْفَضَاءِ ...



أسئلة في القصة

- ١ - من أى شىء بنى قصر ملك البحر؟
- ٢ - ما الصفة التى كانت تغلب على العروس الصغرى؟
- ٣ - ماذا روت الأخت الكبرى عند ما عادت من رحلتها؟
- ٤ - صف السفينة التى رأتها الأخت الصغرى حين برزت من الماء؟
- ٥ - ماذا فعلت لما هبت العاصفة وغرقت السفينة؟
- ٦ - بماذا حدثتها جدتها عند ما ذهبت إليها تستوضحها شؤون البشر؟
- ٧ - كيف تستطيع عروس البحر أن تكسب نفساً خالدة؟
- ٨ - ما الذى كان فى كف ساحرة البحر وحول صدرها؟
- ٩ - بأية وسيلة تخلصت عروس البحر من ذيلها وماذا تحملت فى هذا السبيل؟
- ١٠ - ما المصير الذى كان ينتظر عروس البحر لو أعرض عنها الأمير وتزوج أخرى؟
- ١١ - أى أجر طلبته الساحرة من عروس البحر لقاء مساعدتها؟
- ١٢ - هل غنت عروس البحر فى قصر الأمير وهل رقصت؟
- ١٣ - أحقدت عروس البحر على عروس الأمير؟
- ١٤ - على أى حال برزت شقيقات عروس البحر وماذا أعطيتها؟
- ١٥ - هل قتلت عروس البحر الأمير وماذا صنعت بنفسها؟
- ١٦ - كيف تستطيع بنات الهواء اكتساب نفس خالدة؟
- ١٧ - اكتب هذه القصة بأسلوبك وإنشائك.